البحث عن الشعر ...

ليث الصندوق

السيد رئيس التحرير : تحية وسلاما .

منذ زمن وانا ابحث عن الشعر ، اشتريت من اجله مشارط ومباضع ، وعملت في جسد الكلمات والكتب قطعا وتمزيقا ، فما عثرت على عملته الذهبية المفقودة .

وفتحت دليل ارقام الهاتف ، فلم اجد لا عنوان بيته ولا رقم هاتفه ، وفي الليالي الشتائية الماطرة ، كنت البس معطفي الصوفي الثقيل ، رافعا ياقته على عنقي ، واخرج مغامرا باسمي وسمعتي باحثا عنه في الطرقات التي يعرفها اللصوص والشرطة معا .

ولكن ليس معنى ذلك اني لم اجده ، لقد وجدت الذي قالوا لي عنه انه توأمه ، وحاولوا ان يقنعوني بذلك فما اقتنعت ، اذ ان تشابه اسماء الاباء والالقاب لا يعني (حسب عرفي) الانتماء الى ذات الاصل ، فقد تتشابه جوزتان في سمرة القشر وصلابته ، فتكون الاولى طرية اللب ، لم يمض على نضجها وقطعها الوقت الطويل ، وتكون الاخرى طاعنة مضى على سقوطها العهد ، فنخر لبها وتسوّس .

لقد كان الاخ التوأم الذي عرفته شيخا كبير السن وقورا ، يتوكأ على عكاز ويضع على عينيه عدسات مكبرة ، وفي جيب سترته قنينة الدواء .

ولم اقتنع انه من الممكن لاثنين يكبر احدهما الاخر باكثر من مائة عام ان يكونا اخوين ، وانا اتصوّر الشعر طفلا صغيرا ، كثير الهفوات والعثرات ، يبحث عن القواقع ، ولا يبحث عن الذهب ، ويهوى جمع الطوابع واقتناص الفراشات ولا يهوى ارتياد عيادات اطباء العظام والقلب ، وجمع انواع الادوية .

انه في اعتقادي اللين والهشاشة ، فهو الطفل بكل براءته ، وصفائه ، وليس من الممكن أن ننفخ في عمره كما ننفخ جلد العجل المسلوخ ، ليكون شيخا وقورا ، لقد قرات للكبار شعرا ، فوجدتهم يسقطون عليه شيخوختهم ، فاذا به يئن تحت عبء السنين ، كبيرا وقورا ، يمضي به العمر الى الموت . لقد حمّلوه اغلال الوقار والحياء ، واشبعوا فمه بمفردات الصمت والهدوء ، وادخلوه دار الفتوى ليكون اماما ، وجعلوا من حوله التلاميذ والمريدين ، يرفعون اكفهم طالبين التوضيح دائما ، وهم يخجلون ان تُرفع اصابعهم رفضا وتعنيفا ، لانهم في حضرته يؤثرون ان يوصموا بالجهل ولا يوصموا بالرفض ، فالجهل في عرفهم اسمى ما يطلبه الشاعر من سيده الشعر ، والرفض اذل الوصمات .

لقد وجدتهم يكتبون عن صديقي الشعر بحذر مشوب بالخوف ، فعجبت لذلك ، وانا اردت الشعر ، فكان صديقي ، وحبيبي ، بل انه آثر ان يصغرني عمرا ليكون مني بمنزلة الابن الى ابيه ، لذلك اخذته الى الحدائق ، واشتريت له الحلوى ، وعلمته كيف يصطاد الفراشات ، بل كيف يبكي او يصطنع البكاء ليستدر حنان من يرفض له طلبا ، ودربته على المخاتلة والكذب فسبقني ، حتى وجدت نفسي في آخر الشوط ، وكان في اوله ، يغمزني بخبث .

ولم اتركه لجراة يفترّ بها ، فعلمته الخوف لان جميع الاطفال يجيدون الخوف ومن يجد منهم نفسه قد تجاوزه عدّ كبيرا .

ولكنني اغمضت عينيه بكفي حين مررنا معا امام المداجاة والملق لاني أردت لضوء عينيه أن يبقى صافيا كعين الشمس لا تعكره ظلمة .

نعم ايها الاستاذ الجليل ، انا اجيئك اليوم بصحبة صديقي الصغير (الشعر) بعد ان اعدته الى عمر الطفولة ، انه يقف في حضرتك بثوبه الجديد الذي خطته له من قماشي الخاص . ويكفي انني تحملت من اجله وخز الابرة بصبر ورضى ، انه امامك كما ردته طفلا متواضعا يروي بعفوية عن شؤون الحياة الصغرى التي لا تثير الكبار ولا تحرك مشاعرهم ، يحدثك عن سباق بين القطار والشارع وعن (خلاطة البيض) ، وهو يدخل الحياة ــ مجربا ــ من بابها الامامي الذي لا يدخل منه اللصوص ابدا .

ولتعذر ابني (الشعر) ان لم يحدثك عن الاشياء الكبرى كالبحر مثلا ، والريح التي تلطم القمم والسماء التي ترفض النظر الى اسفل ، لانه يا سيدي لم يركب معي البحر ، ولم نشحذ معا من الريح كسرة خبز ، ولم نفكر أن نبني يوما سلما يوصلنا بالسماء ونجومها المتعالية ، المتكبرة ، واننا متواضعان ، نسكن على الارض ، ولا نبيع فراشاتها ولا سلح عصافيرها او لقاح اشجارها بألف غيمة وقورة ، لا تثبت على حب ، ولا تدرك معنى للوفاء .

تحياتي لك يا ايها الدكتور ، وليكن صغيري ضيفك ، قدمه على صفحات مجلتك ، ولا تبخل عليه باشارة المرور الخضراء ، وتابعه بنظراتك وهو يعبر ، فقد تزل قدمه على الطريق وتفزعه العربات الكبيرة المنتظرة بابوافها الزاعقة . واذا مد مصافحا لك يد الطفل البضة اللينة فلا تعامله بوقار الكبار وتسحب يدك .

تقبل سلامي .

***

السبق

(كان القطار والشارع يلبسان سراويل قصيرة للركض ويقفان متحفزين على خط البداية .)

صفر من صدر موار
وانطلقا في الغيب
شيخين وراء فراشة

عملاقان من المعدن
ومن الحقد ، ربيب الارض المعفاة
الاول دك السفح باقدام العجلات
فتصدع ما عاق السيل
والثاني يزحف من طول
ويمد يديه ليلتهم البعدا

التفتا حول الابعاد
وامتلأا طلعا وعثيرا

زعقا في اذن الليل ففزت نجمة
من غفوتها ، والتجأت للقمر الآمن
القت رأسا بين يديه
وعلى كتفيها سحبت فروته
فتيقظ مهموما
مسح عينيه بكف راجفة
ومضى نحو السور
يحرس أبناء غرثى
ومضى نحو مقابرهم
يحرس بقيا رمم
حام لصوص العظم عليها

وارتجفت في رحم الارض اجنة

أنت وردة
فرأيت قطارا يضرب سكته
يسحبها كلجام نحوه
يقتل فيها رغبتها في الضحك

ويمر بكل قساوته
وبكل حماوته
وبكل شراسة ناب مكسور
يضمر حقد الجمر
وحقد الفحم
ويقاوي عضل الريح ، واعصف ليلة

وعلى الجانب ،
كانت افعى سوداء من القار
تعدو ــ
وتحاول ان تمسك بالمارد ،
ان توقف زحف الفولاذ
لكنهما اقوى من ان يثبط بعضهما
عزم الاخر
من ان يقفا ،

او تعجن نارهما بالكفين
فافاق الافق على صرخة
وتنحى ليمرا دون عوارض
او اقفال .

ونطاق من شوك
حال عتياً بين اثنين
وتقدم مزهوا نحوهما بجيوش من ورد
برماح تأمل في نيل شبا الحدين .
لكن حين ارتفعت اقدام الفولاذ
دكت بحذاء مرقوع سكتها
وجل الشوك ، ولم ينبس
وتقدم نحو الثاني
فتحداه الاسفلت، وقد مدّ سلاحا ـ
ان ينمو كالشعر على صدره
فتوقف بين النابين
لفلف جسما مخذولا ،
وغفى فوق التلعة .

والريح السوداء ،
كانت تتبع هذا الضربا
وتسابق من غير دخول في المضمار .
لكن حين ارتفعت للشمس على الافق
مشاعلها
آثرت النزهة حذو الانهار
ومداعبة الاغصان اللينة القلب
فالضعفاء تصيبهم بالكبر معاشرة
الاصغار

وهناك على الافق
كان الشارع يحمل زهرته
ويقدمها بتواضعه الجمّ
لقطار بلغ القصد بدون انين
وهو الحامل كل ثقال المعدن

وهناك على الافق
كان قطار يحمل زهرته
ويقدمها بتواضعه الجمّ
الشارع اذ بلغ القصد بدون انين
وهو الحامل كل هموم الماشين ،
وابدان السيارات

* * *

« خلاطة البيض »

تدور في اتزان .
خيوطها لامعة رهيفة ،
من غير التفاتة
او سحبة من غبار
فلا تحس خلفها سوى بكف الحنو
او لطمة مباغتة
تخرم حدّ الآنية .

وفي القصاع التمت الغضبان
حوال كومة من العجين
وطاش حول الاطر الرذاذ
فزمّت القبضة من معدنها
من لحمها
منقبضا ، منفرجا
فهي الحيازيم تشدّ البدنا
تخلف اليماني عنها يمنة
فدار فيها الايسر اللزيق .

قضبانها دائرة
تعقد في سرعتها المصطرعة
حتى تذوب معدنا .
ويفقد اللميع
في الطحن والخرشاء
معتجنا ،
ممرغا بصفرته .

لكنها دوما ترد الكف للبداية
تجبرها ان تقبض الاصابع
والعظم خوف الانفراط الرهيب
في زحمة الدوار ،
وعصفة النكهة والمذاق .

خلاطة البيض هي الكرة
في سطحها ،
حين تدور مرة في الضوء
خالطة صفاحها بلمعة ملحومة بنقضها
لكنها تدوي كبرج مائل
كصرخة تسحب من اعماقي الاحشاء

خلاطة البيض التي تسحرني
تخلطني ،
في لحظة السهو بلا صفار

بغداد